زهور .. من أحداث الشهور

**سلطنة عالمكير أورنجزيب**

**أعظم سلاطين دولة المغول بالهند**

حكم المسلمون شبه القارة الهندية طيلة ثمانية قرون ونصف القرن, سطرت خلالها صفحات من البطولات والأمجاد والتقدم الحضاري الهائل . فنشروا التوحيد في هذه البلاد التي كانت تموج بالوثنية حتي أنقذوا – بأذن الله - مئات الملايين من سكان الهند من النار, ويبلغ عدد المسلمون اليوم في بلاد الهنوستان ما يزيد علي خمس مئة مليون مسلم , وقد صنع مسلمو الهند حضارة مذهلة في جميع الميادين حتي خرجت الهند الإسلامية كثيرا من علماء الشريعة وعلماء الطب والصيدلة والهندسة والعمارة وغيرها.

بدخول الإسلام بلاد الهند علي يد الفاتح الأول القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح الديبل وراور والملتان (92-95ه) , وذلك في عهد الخلافة الأموية , ولما ضعف نفوذ المسلمين في المناطق المفتوحة في الهند وفي عهد الدوله العباسية أعاد السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين (387-421ه) فتح رقعة واسعة من أراضي الهند ونشر فيها التوحيد واقام المساجد ودخل كثير من الهنود في الإسلام , وبعد أن ضعفت الدولة الغزنوية ضمت الدولة الغورية التي كانت تحكم الغزنويين في الهند إليها وذلك علي يد السلطان شهاب الدين الغوري. ثم تعاقبت الدولة الإسلامية علي حكم الهند كدولة المماليك في الهند ثم الدولة الخليجية , ثم الدولة الطغلقية , ثم دولة المماليك وممكلة الدكن البهمنية وغيرها .. حتي جاءت أعظم دولة إسلامية حكمت شبه القارة الهندية وهي دولة المغول الإسلامية التي تمتعت بالحكام الأقوياء في جملتهم . ومن أمثال بابر وأكبر وجهانكير وشاهجهان , وآخر هؤلاء وأعظمهم علي الأطلاق : السلطان (عالمكير أورنجزيب) (1) الذي توج سلطانا علي الهند في شهر ذي القعدة من سنة 1067ه و وهو السلطان المظفر محيي الدين محمد أورنجزيب ولد في الخامس عشر من ذي القعدة سنة 1028ه و وأمة هي (أرجنمد بانو) المشهورة ب (ممتاز محل) والمدفونة بمقبرة تاج محل . ونشأ أورنجزيب نشأة دينية علي كبار العلماء حتي أصبح متبحرا في علوم الشريعة رغم انشغاله بأمور الملك.

اعتلي أورنجزيب عرش الهند بعد صراع مع إخوته ( دار شكوه –مراد-شجاع) وذلك أن أباه السلطان (شاهجهان) قد اصيب في أواخر فتره حكمه بمرض اقعده عن مباشرة شئون البلاد, فنشأ صراع بين الأخوة خاصة بين أورجزيب وأخيه الأكبر دار شكوه انتهي بانتصار أورنجزيب ودخوله العاصمة المغولية (دهلي) وقد استقبله كبار رجال الحاشية والقواد والأمراء مهنئين مقدمين خضوعهم له ليتم تنصيبه سلطانا علي الهند وقد أقر شاهجهان ابنه المنتصر علي السلطة واهدي اليه سيفا مرصعا بالجواهر وقد نقش عليه اللقب الذي منحه اياه وهو لقب (عالمكير) أي (آخذ الدنيا وسيد العالم) وفي المقابل احاط أورنجزيب والده – المتنازل عن السلطة في قلعة السلطنة حتي لا يلتف حوله الخارجون علي الدولة إلي أن توفي شاهجهان بعد ثماني سنوات من تولي أورنجزيب للسلطنة سنة 1076ه.

**انجازاته السياسية والعسكرية**

حكم عالمكير أورنجزيب نيفا وخمسين سنة كانت مليئة بحركات الجهاد في سبيل الله ونشر التوحيد بين الوثنيين وقمع الفتن والثورات , ففتح منطقة (كوج بهاري) في شرق مملكته, وكذلك اخضع لملكه منطقة (أسام) وولاية (أراكان) علي حدود بورما وأراد أن يمد فتوحاته الي الصين لكن شدة الأمطار حالت دون ذلك وقضي علي القلاقل والفتن التي كان يسببها اهل التبت, وفتنة طائفة (ستنامي) وهي طائفة من فقراء الهندوس المشعوزين واعاد فرض الجزية علي الهندوس حرصا منه علي تنفيذ تعاليم الإسلام وتطبيق شريعته بعد ان الغاها جده (أكبر) عن الهندوس تقربا للهندوس وفي المقابل ألغي الضرائب التي لم تفرضها الشريعه علي إثر ذلك ثارت القبائل الراجبوت الهندوسية بقيادة (جسونت سنك) و (ورانا اودي بور) فقضي عالمكير عي فتنتهم وقضي عالمكير كذلك علي تمرد المراهتا بقيادة (سيفاجي وابياه سنبهاجي ورام راجا) , بعد أن استفحل خطرهم وصاروا ينهبون الأموال ويعتدون علي حجاج المسلمين.

ومن أبرز إنجازاته السياسية والعسكرية كذلك أنه ضم مملكتي بيجابور وكولكنده الهندية الإسلاميتين وكانتا في جنوب سلطنة المغول الهندية والذي دفعة الي ذلك هو أن هاتين المملكتين قد اشتركتا مع في الهجوم علي اراضي المملكة المغولية المسلمة.

وبهذه الإنجازات صارت شبه القارة الهندية كلها في حوزة أورنجزيب إلا أماكن قليلة.

ومن أهم مظاهر إصلاحه الإداري

أنه خصص موظفين يرفعون اليه كل ما يقع من أحوال رعاياه فكان بذلك يقف علي أحوال رعاياه أولا بأول بل كان يختبرهم ويفتش عنهم حتي لا يخدعه الموظفون . كما ابطل عادة تقديم هدايا الي الملوك وكان يجلس للناس ثلاث مرات يوميا دون حاجب حتي يستطيع كل واحد أن يصل اليه ويرفع شكواه وبلغ من حرصه علي تحقيق العدل لرعايه أنه اصدر أوامره المشددة لقضاته بالجلوس للقضاء خمسة ايام في كل اسبوع بدلا من يومين علي الرسم السابق وسرعة البت في قضايا الناس, أما التعليم فقد ازدهر في عهده أيما ازدهار ولم يكن ذلك عجبا فقد كان هو نفسه عالما محبا للعلم والعلماء فكثرت المدارس في عهده كثرة لم يسبق لها مثيل وأجري الأعطيات علي العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراستهم . وانشا المساجد الكثيرة والطرق وأكثر من إنشاء الرباطات والحمامات والاسترحات لأبناء السبيل, وكذلك انشا دور للعجزة والمستشفيات في اكثر البلاد ومع كل هذه الإصلاحات السياسية والحضارية عمل علي تدوين الأحكام الشرعية للعمل بموجبها فجمعت الفتاوي المشهورة باسم (الفتاوي الهندية) أو (العالمكيرية) , وهي فتاوي لها قيمتها العلمية بين المشتغلين بالفتوي ووضع بنفسه كتابا في الحديث وشرحه بالفارسية جمع فيه اربعين حديثا كما حفظ القرآن بعد توليه العرش.

أدي حرصه علي أن يصبغ دولته بالصبغة الإسلامية الخالصة علي أن تشدد في تحريم الخمر والميسر تحريما تاما وأبطل البدع, ثم أمر بتعمير المساجد وترميم الخرب منها وأمدها بطائفة مختارة من الأئمة والوعاظ والمدرسين وحض علي الأقبال علي حلقات العلم بها وشجعهم علي الدرس فيها ثم بعث بمحتسبيه أصحاب الأمر بمعروف والنهي عن المنكر – من بعد ذلك ليرقبوا سلوك الناس ويحملوهم علي التمسك بتعاليم الشرع والابتعاد عن نواهيه.

عبادته:

رغم اشتغاله بأمور الملك وإلا أنه كان يكثر من الصيام ويصلي التراويح بالناس, وأما عن زهده فمع أن الدنيا كلها كانت بين يديه إلا أنه كان زاهدا فيها فكان يجعل طعامه في رمضان من خبز الذرة ولا ينام إلا علي الأرض ويصنع الطواقي بنفسه ويبيعها ليأكل من ثمنها كما كان يكتب المصاحف لهذا الغرض – وكان معروفا بحسن الخط – وقد أهدي نسخة من المصحف بخطه إلي مكة المكرمة كما كتب الفية ابن مالك في صباه وأرسلها إلي مكة للانتفاع بها.

ومن عظيم أخلاقه رحمه الله شدة تواضعه , إلي الحد الذي ادي به إلي تهديد نائبه بالبنغال وحين بلغه أنه تعالي عن الناس في مجلسه حتي اتخذ له مايشبه العرش ليتربع عليه .. ولم يكن يسمح أن يغتاب أحدا في حضرته. وكان –رحمه الله- يحسن إلي أعدائه بعد أن يستسلموا له, ويغدق عليهم ويعطيهم المناصب والإقطاعيات وكثيرا ماكانت تتكرر منهم الإساءة ونقض العهد ولكنهم كانوا يلقون منه صدرا رحبا واستعدادا في كل مرة.

مرضه ووفاته: وحين اشتدد به المرض أوصي رجاله أن يقيموا له جنازة بسيطة عند وفاته ويسرعوا بدفنه في اقرب مقابر للمسلمين ولايزيدوا في ثمن كفنه علي خمس روبيات كان قد كسبها من صنع الطواقي وبيعها, وان يتصدقوا علي الفقراء بثلاث مئة من الروبيات كان هي كل ما يمكله وما تبقي من دخله من نسخه للقرآن الكريم وبيع المصاحف.

وفاضت روحه – علي ما تمني – يوم الجمعة , وهو الثامن والعشرون من ذي القعدة سنة 1118ه وهو في التسعين من عمره فوري التراب في مقبرة دولت آباد.

وعلي كل فقد قال عنه الدكتور عبد المنعم النمر : " يعتبره المؤرخين اعظم إمبراطور مغولي بلغت الدوله في عهده الذروة التي لم تبلغها قبله أو بعده وإن كان بعض المؤرخين الهندوس والغربيين ومن له اتجاه خاص من المسلمين يأخذون عليه أنه كان مسلما متعصبا !! ولكننا نعرف أن كلمة (متعصب) هذه في نظر المسلمين معني (العامل بدينه) ,لأن هؤلاء لا يروقهم المسلم المتمسك بدينه...." (3)

1. (عالمكير) هو لقب الملك وهي كلمة تتكون من شقين (عالم) وهي عربية معروفة و(كير) بالكاف بالفارسية وتعني آخذ أو مالك فالمعني (مالك العالم) و(أورنجزيب) هو اسمه وهي كلمه فارسية تتكون من شقين (أورنج) وتعني العرش أو الملك وتعني الزينة فالمعني –إذن- (زينة الملك).
2. ومما يدل علي ذكائه ودهائه العسكري –رحمه الله تعالي- ما حدث في ثورة الراجبوت الذين ثاروا متذمرين علي فرض الجزية عليهم حيث اعتصموا بحصونهم في الجبال وكان أورنجزيب قد أرسل ابنه (اكبر) الي منطقة (موار) لحرب الراجبوتيين هناك ولكنه اخفق في الانتصار عليهم وقمعهم فما كان من ابيه إلا أن انبه تانبيا شديدا لتهاونه مع الرجبويين . فوجد الثأئرون في ذلك فرصة . فالتفوا حول هذا الامير الغاضب – وكان اذ ذاك في الثالثة والعشرين من عمره فتيا – فما زالوا يزينون له الخروج علي ابيه حتي استجاب لهم ونادي بنفسه سلطان عليهم. كما قرر (اكبر) أن يسير بجموعه التي بغت سبعين الفا للزحف نحو (آجمير) مقر السلطان الذي لم يكن حوله من الجند إلا الف فارس فقط لا يستطيعون أن يجابهوا زحف الجبوتيين الذين يقودهم ابنه (اكبر) فستعمل الحيلة والدهاء. فاصطنع خطابا بعث به الي (اكبر) تعمد أن يقع بأيدي الراجبويين وقد اثني فيه علي الأمير (اكبر) وعلي خداعه للأعداء علي ما رسمه له من قبل وآمر باستدراجهم وقواتهم حتي يحاصروا بين قوتي المسلمين ليبادوا عن آخرهم فاذا بالراجبويين ينفرط عقدهم حين اطلعوا علي الرسالة واذا بالامير الثائر يجد نفسه وحيدا في الميدان فهرب الي ايران وأقام بها إلي اخر حياته.
3. للا ستزادة يرجع الي المراجع الآتية:
4. تاريخ الإسلام في الهند للدكتور/ عبد المنعم النمر
5. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم للدكتور/ احمد محمود الساداتي.
6. تاريخ دولة آباطرة المغول الإسلامية في الهند للدكتور / جمال الدين الشيال.